ثلاث كان قلبي وفكري ينفران منها منذ أن بدأت أحسّ الدنيا وأفكّر في الناس وشؤونهم منها: الحرب والمحاماة والتجارة. ولو كان لي الخيار في تخطيط حياتي لما كان فيها لأيّ من تلك الثلاث أقلّ نصيب. ولكن يداً غير يدي، وفكراً غير فكري، وإرادة غير إرادتي كانت تعرف غير ما أعرف وترتإي لي غير ما أرتإيه لنفسي. فقد رأت أنّه من الخير لي أن أخبُر الحرب والمحاماة والتجارة، ولو بعض الخبرة، ثمّ أن ألقي بها جانباً كما يلقي آكل الجوزة بقشورها من بعد أن يحصل على لبابها. فكان أن عدت من الحرب عام ١٩١٩ وسرّحت من الجندية وليس لي حرفة أو مهنة أرتزق منها كفاف عيشي. أمّا الأدب العربي الذي كنت قد نزلت حومته فما كان من المأمول أن يقوم بأودي. لا سيما في غير أوطانه. وهكذا وقفت على مفرق الطرق.

وأنا كذلك إذا بصديق هو اليوم خلف ستار المحسوسات يسألني ذات يوم: «ما قولك في التجارة؟ أترضى الاستخدام في محلّ تجاري؟ إنّني أعرف ثلاثة إخوة هم من خيرة رجالنا ولهم تجارة واسعة. وهم في حاجة إلى شابّ مثلك». وكنت لا أعرف من أسرار التجارة أكثر من أن أبتاع حاجاتي في السوق. أمّا من أين تأتي تلك